مدخل

نشاة علم الاثار :

يعتبر الشرق الادنى القديم من اعظم مراكز الحضارات القديمة فعلى ارضه قامت اولى المدنيات في العالم , وعلى ارضه حدثت وتبلورت الاكتشافات العلمية الهامة , وسنت القوانين والنظم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية, ولهذه الاسباب ادرك الغرب في وقت مبكر الاهمية الاثرية للشرق الادنى القديم , فضلا عن ان هناك اسباب سياسية واقتصادية تكالبت بصورة مباشرة او غير مباشرة لدفع الاهتمام باثار الشرق الادنى القديم الى الامام ومنها احتواء بلدان الشرق الادنى القديم على اثار ضخمة وبارزة للعيان ومثيرة للدهشة وتتنبىء بوجود ثروات هائلة , ولذلك فان علم الاثار بدا بالنسبة الى الشرق الادنى في النصف الثاني من القرن التاسع عشر لما كان له من اهمية عند علماء التاريخ والحضارات خاصة وانه كان الموطن الاول لاقدم الحضارات التي عرفتها البشرية , فقد ظهرت مراكز حضارية رئيسية في العراق ومصر وبلاد الشام وفي جزيرة كريت وغيرها .

ورغم هذا الازدهار الحضاري الكبير الا انه ظل فترة طويلة لا يعرف الناس عنه وعن حضارته الا القليل الذي وصل الى علمهم من مصدرين اساسيين اولهما التوراة " العهد القديم " وثانيهما ما كتبه الاغريق والرومان

ومن تتبع تاريخ الاهتمام بالاثار نجد ان الملك البابلي نبونيدس اخر ملوك السلالة بابل الحديثة قد اهتم بالثقافة البابلية القديمة واحتفظ بما وجده في غرف خاصة يمكن ان يطلق عليها اسم المتحف ولذلك يعتبر اقدم من اهتم بالاثار والتاريخ القديم

وكما سبق ان ذكرت ان التوراة كانت في مقدمة المصادر عن العراق القديم قبل الكشف عن اثاره عن طريق التنقيبات فقد حوت اسفاره مجموعة من الاخبار عن العراق وتاريخه ,فضلا عن المصادر الكلاسيكية اي ما كتبه اليونان والرومان وفي مقدمتهم هيرودوتس الملقب بابي التاريخ 480-425 ق –م وكان اول من استعمل مصطلح التاريخ " history " واصل كلمة تاريخ في معظم اللغات الاوربية وكان تاريخ هيرودوتس اقدم الكتب التاريخية واعقبه اخرون ومنهم زينفون , سترابو , ديودور الصقلي, كورتيوس روفوس , بليني , اريان وغيرهم , بالاضافة الى ما ورد في كتب المؤرخين والبلدانيين العرب , الطبري , المسعودي , البلاذري وغيرهم .

وعلى اثر ذلك اتجه اهتمام الرحالة الاوربيين منذ منتصف القرن السادس عشر الى العراق حيث سجلوا التلال الاثرية وقاموا بجمع الكثير من الملتقطات السطحية من فخار واجر دونت عليه كتابة مسمارية , وقد اثارت اخبار هولاء الرحالة الرغبة في اوربا للوقوف على اخبار الماضي فنشطت المؤسسات العلمية الاوربية في ارسال البعثات الى اماكن متفرقة من الشرق الادنى ثم زادت هذه الحركة فشملت وكلاء الشركات الاجنبية والمقيمين الممثلين لدولهم ومن ابرز هولاء كلوديوس ريج القنصل البريطاني في بغداد وغيره ممن قاموا باعمال حفر في عدة مواقع في العراق وجمعوا بعض الالواح المسمارية , وكانت اعمالهم اقرب ما تكون الى النبش لاستخراج الاثار الكبيرة كالمنحوتات .

لقد كان لكتابات ريج وغيره من الرحالة الاوربيين الاثر الكبير في تطلع العديد من الاوساط الاوربية وحماسها الى اثار الشرق الادنى واقبالها على الاثار واقتنائها ورصد الاموال لمن يقوم بالحفر في مواطن الحضارة , وقد زاد من هذا الحماس رغبة العديد من الجمعيات الدينية المعنية بتحقيق ما ورد في التوراة من اقوال وحوادث واسماء ذكرت في اسفار التوراة كما

اهتم اخرون بالتحقق في كتابات المؤرخين القدامى من امثال هيرودوتس وبقية الرحالة اللاحقين .

ان بداية الاكتشافات الاثرية ظهرت في بداية القرن التاسع عشر وفي مناطق مختلفة من العالم وهذه المناطق هي .فقد بدا التنقيب في العراق على ايدي القناصل والمقيمين الاجانب ومن ابرز الذين عملوا في العراق , اميل بوتا القنصل الفرنسي في الموصل , هنري ليرد , لوفتس , هنري رولنصن , اميل دي سارزك القنصل الفرنسي في البصرة , هرمز رسام نيابة عن المتحف البريطاني , ثم دخلت الولايات المتحدة الامريكية الى ميدان التحريات الاثرية فارسلت جامعة بنسلفانيا اول بعثة امريكية للتنقيب في نفر برئاسة بيترز ومساعده هلبرشت

وعام 1899 بدا روبرت كولدفاي بالتنقيب في مدينة بابل بعد تاسيس الجمعية الالمانية الشرقية , وكان اول عمل هو ارسال بعثة للتنقيب في بابل , وفي مصر بدا التنقيب فيها بعد اكتشاف حجر رشيد على ايدي بعثة نابليون بونابرت التي كانت تضم عددا من المختصين في مختلف الدراسات جابت البلاد طولا وعرضا باحثة مستقصية ومسجلة لكل المواقع والنصب الاثرية في مصر في الكتاب المسمى وصف مصر من العصر الفرعوني حتى العصر الاسلامي ونشرت ابحاثها وعثرت على حجر رشيد حيث استطاع شامبليون في عام قراءة النص المكتوب بثلاثة لغات هي اليونانية والديموطيقية والهيروغليفية .

وفي بلاد اليونان وبحر ايجة فقد بدا الاهتمام بهما منذ اوائل القرن التاسع عشر على يد هاينزس شليمان حيث بدا بدراسة تاريخ هوميروس ووصفه لمدينة طروادة وكذلك تنقيبات ارثر ايفانز في

موقع كنوسوس في جزر بحر ايجة ,وفي مواقع اخرى في بلاد الشام في سوريا وفلسطين وفي ايران وغيرها من الاماكن .

وكان اهم انجاز ما به القنصل البريطاني في بغداد هنري رولنصن هو حل رموز الخط المسماري بعد ان تم العثور على حجر بهستون وقد ادى ذلك الى لفت الانتباه الى بصورة اكبر الى اثار الشرق الادنى والى الثروة الحضارية لتلك المنطقة ولذلك فقد تلاحقت البعثات الاثرية من الدول الاوربية المختلفة الى القيام بالحفريات في بابل واشور وفي مناطق مختلفة من العراق , علما ان النشاط الاثري في البداية كان عبارة عن جهود فردية يقوم بها اشخاص , والى جانب هذا النشاط قام الدبلوماسين الغربيين المعينين لدى البلدان الشرقية بعمل بحوث ميدانية وحصلوا من جرائها على مواد اثرية قاموا بارسالها الى بلدانهم كما قام بعض العسكريين الغربيين باجراء مسوحات وحفريات اثرية اثناء اقامتهم في بلدان الشرق الادنى, ونتج عن هذا النشاط نشر العديد من الكتب والمقالات والقاء المحاضرات , وانشئت العديد من الدوريات المتخصصة في هذا المجال كما تم توفير مواد اثرية قدمت اجزاء منها الى المتاحف الاوربية وبدات الجامعات الاوربية في انشاء اقسام ومعاهد اثرية متخصصة كما كثرت المتاحف التي تحتاج الى مواد اثرية لعرضها لذلك اشتدت المنافسة بين تلك الدول , كما ان تركيا في مرحلة لاحقة اصدرت اول نظام للاثار ادى الى وصول مجاميع من اللقى الاثرية الى المتحف في اسطنبول عن طريق القسمة مع البعثات الاجنبية العاملة في الاقطار التابعة لها وهكذا اصبح متحف الشرق في اسطنبول واحد من اغنى متاحف العالم بالاثار من العراق ومصر وغيرها من الاقطار العربية .

لقد نتج عن ذلك تكثيف ارسال البعثات الاثرية الى بلدان الشرق الادنى القديم ,كما اخذت كل جامعة تصبو ان تحرز السبق العلمي باجراء ابحاث مكثفة في منطقة معينة , حيث ارسلت بعثات الى العراق واخرى الى مصر والى الجزيرة العربية وعملت بعثات اخرى في تركيا وفي ايران وفي بلاد الشام وغيرها من البلدان , وقد اسفر عمل هذه البعثات عن الكشف عن العديد من المواقع الاثرية واجراء اعمال تنقيب على نطاق واسع .

لذلك اصبح علم الاثار حقلا لاجراء البحوث التي تشمل فروع وتخصصات متعددة ,في العراق فقد تاسست دائرة الاثار 1922 , برئاسة ترود بيل والمتحف العراقي في 1924 في القشلة الى ان افتتح المتحف العراقي في ستينيات القرن الماضي , وبعد ذلك بدا تنظيم العلاقات بين البعثات الاجنبية وبين مديرية الاثار العامة ولاسيما من بعد تشريع قانون خاص بالاثار 1936 بالاضافة الى اشراف موظفي الاثار العراقيين على هيئات التنقيب الاجنبية وتوفر ذوي الاختصاص في الاثار من العراقيين ممن درس الاثار في الجامعات الغربية منذ عام 1938 وزاد عددهم في السنوات الاخيرة كما دخل العراق ميدان التحري والتنقيب في 1938 , وبدا المتحف العراقي يتسع بما يدخل اليه من اثار عن طريق التنقيبات الاجنبية والعراقية وتم افتتاح المتحف الجديد في الصالحية في 1966 ,فضلا عن ذلك فقد تاسس قسم للاثار في جامعة بغداد 1951 وبعد ذلك انتشرت اقسام علم الاثار وكليات الاثار في الجامعات العراقية .

جدير بالاشارة ان علم الاثار في العراق والمنطقة العربية منذ بداياته ارتبط باطماع الدول الاجنبية بثروات المنطقة وموقعها الحيوي كما ارتبط برغبة تلك الدول لاغناء متاحفها بنتاج حضارة

العراق والوطن العربي , لذلك فقد نقل الكثير من نتاج حضارة العراق خلال تلك الفترة الى متاحف اوربا وامريكا والدولة العثمانية وبعد استقلال العراق انتقلت بالتدريج السيطرة على عمليات التنقيب الى ايدي وطنية كونت بمرور الوقت مدرسة عراقية للاثار .

علاقة علم الاثار بالعلوم الاخرى

يرتبط علم الاثار بكثير من العلوم التي تفيد الباحث الاثري في مجال او اخر ويطلق عليها علوم مساعدة لعلم الاثار ,ولذلك فان علم الاثار ومنذ نشاته وانتشاره يحتاج الى كثير من العلوم لانه يتناول حياة الانسان وحضارته في ماضيه ,اي انه يتناول نشاة الانسان وتطوره وفنونه وعمارته وصناعته وظروفه التي عاشها وكيف استطاع التغلب عليها , لتقدم له العون في فحص ودراسة ما خلفه الانسان من حضارة مادية او ما تركه من كتابات ونقوش وغيرها , اي انها تهيىء له كثير من اسباب الوصول الى نتائج علمية وهذه العلوم كثيرة ومتنوعة ومنها :

علم الانثروبوجيا اي علم الانسان وافعاله وسلوكه وعلم الجماعات البشرية وانتاجها وعلم الحضارات البشرية , او هو علم دراسة الانسان كفرد وكجزء في المجتمع, بالاضافة الى دراسة تنظيماته الاقتصادية والسياسية وعلاقاته , ولذلك فان علاقته بعلم الاثار وثيقة جدا لان دراسة البقايا البشرية يستفيد منها علم الاثار في الكثير من الامور .

اما علاقته بالهندسة المعمارية التي تهتم بدراسة فنون الابنية المعمارية سواء كانت ابنية دينية او مدنية , تهتم بدراسة تخطيط المدن , لذلك فان ارتباط علم الاثار بالعمارة وثيق جدا وله اهمية بالغة لانه يتناول ما خلفه الانسان من عمارة وما يتعلق بها من طرق واساليب البناء , ومواد البناء وغيرها .

كما ان لعلم الاثار علاقة وطيدة بعلم الاحياء الذي يتناول كيفية طهور الانسان وتطوره عبر العصور القديمة اعتبارا من اول انسان صنع الالة , ويعتمد علم الاثار على علم الحيوان وهو احد فروع علو الاحياء لدراسة متحجرات الحيوانات القديمة التي عاصرت الانسان كما تعتمد على الفرع الاخر وهو علم النبات

لمعرفة النباتات القديمة التي اعتمد عليها الانسان في غذائه ولباسه وبناء مسكنه وصنع الاته وادواته لذلك فان دراسة ما تحجر من هذه الحيوانات والنباتات تعد واحدة من اهم الدراسات التي لا غنى عنها بالنسبة لعصور ما قبل التاريخ .

فضلا عن ذلك فان علاقته بالدين قوية حيث يعرف من خلاله دراسة الاساطير والملاحم , ودراسة الفكر والمعتقدات التي تعبر عن العبادات والطقوس والاحتفالات الدينية ذات العلاقة بالانسان , بالاضافة الى ذلك فان علاقة الفن بعلم الاثار واضحة جدا وتتضح هذا العلاقة فيما يكتشفه الاثاريون من اعمال النحت البارز والمجسم والرسوم والصور وتشتد هذه العلاقة حين تتناول الاثار دراسة تطور الطرز الفنية في العصور القديمة المختلفة .

كما ان علم الجيولوجيا اي علم طبقات الارض له علاقة بعلم الاثار خاصة عند دراسة اثار الانسان في العصور الحجرية القديمة فتظهر عند الاستعانة بالطرق الجيولوجية لمعرفة الصخور في الكهوف والملاجىء الجبلية وشرفات الانهار التي وجدت فيها مخلفات الانسان وعظامه , ولذلك فان تظافر جهود كل من الجيولوجي وعالم الاثار يعد امرا ضروريا في هذا المجال .

ومن الجدير بالذكر ان علم الاثار يستعين ببعض العلوم الصرفة ومنها الكيمياء والفيزياء في التحليل الكيميائي لعينات التربة ولكل المواد الاثرية التي يعثر عليه في المواقع الاثرية, كما يعتمد عليها في الحصول على تاريخ مطلق للادوار الحضارية بطريقة كاربون 14 الاشعاعي او بطريقة بوتاسيوم – اركون , كما يستعين بالفيزياء والكيمياء في معالجة الاثار وصيانتها من التلف والصدا .

المسح الاثري

يعد المسح الاثري احد المناهج التي يتبعها الباحث الاثري لتحديد اماكن تواجد المواقع الاثرية , ويعتمد على القيام بتفحص ودراسة الارض ويمكن اجراء ذلك بطرق مختلفة , وبتعبير اخر انه جرد

كامل للاماكن التي تظهر فيها مخلفات اثرية من اي نوع كان ولتسهيل مثل هذا العمل يتوجب الخروج الى الحقل وفحص الارص بدقة , اي انه ارتياد المواقع الاثرية التي بقيت اثار الانسان على سطحها لاختيار الموقع الذي يمكن اجراء التنقيب فيه علما بان الاهتمام بالمسح الاثري بدا عندما صار للعمل الميداني في حقل الاثار منهجه العلمي المنظم لذلك اصبح المسح هاما وضروريا لابد له ان يسبق التنقيب في موقع من المواقع القديمة , بحيث اصبح من غير الممكن القيام بالتنقيب في اي موقع من المواقع دون مسح اثري شامل له .

اذا كان على سطح الموقع الكثير من كسر الفخار او الاجر او الزجاج او غير ذلك فان هذا يحدد طبيعة الدور الحضاري الذي يعود اليه الموقع , كما ان معاينة او فحص الموقع تفيدنا في التعرف على النشاطات الزراعية التي كانت منتشرة فيه وبالقرب منه والابنية المختلفة ولذلك فان دراسة الموقع القديم والتعرف على ثرواته الطبيعية يساعد كثيرا في اعمال المسح الاثري , ولذلك فان المنطقة التي فيها الموقع الاثري لابد وان تختبر بواسطة التجوال ومناقشة زراعها المحليين وغيرهم من المستوطنين المعمرين من لا زالوا يتذكرون اية اعمال سابقة كانت قد طرات عليه .

ومن الجدير بالاشارة ان الموقع الاثري اذا كانت اثاره المعمارية من الابنية الدينية او المدنية وغيرها ظاهرة تماما فان تحديد اهميته ومساحته وبعص خصائصه الاثرية يمكن ان تكون واضحة , اما اذا لم يكن شيئا ظاهرا كالتلال الاثرية فان الكسر الفخارية الموجودة على سطح الموقع تشكل اهم الظواهر الاثرية ليس فقط ميما يتعلق بالموقع وانما فيما يتعلق بتاريخه لان كل عصر من العصور القديمة كان له فخاره الذي يميزه عن بقية

العصور , ويبدو من خلال ذلك ان الفخار لعب دورا هاما في تاريخ الحضارات ولم ترق الى اهميته اية مخلفات اثرية اخرى , علما ان الهيئة العامة للاثار قامت في اجراء المسوحات منذ فترة مبكرة وكانت في بدايتها مسوحات اولية بسيطة كان الغرض منها التوثيق واختبار مواقع التنقيب كما جرت اعمال المسح كان الغرض منها توثيق المواقع الاثرية قبل غمرها بالمياه بسبب مشاريع الري حيث تمكنت من تثبيت المواقع الاثرية وقنوات الري القديمة ورسم خرائط تفصيلية بالاضافة الى تحديد فتراتها الزمنية علما بان اعمال مسح قام اجانب ومنهم ماكس ملوان وابرزهذه الاعمال ما قام به روبرت ادم الذي مسح وسط وجنوب العراق خلال ثلاث جولات فقد توصل نتيجة ذلك على تفاصيل تخص المواقع الاثرية ومجاري الانهار من عصور مختلفة واستطاع ايضا تحليل التاثيرات المتبادلة والمتفاعلة مابين التجمعات السكانية والمناخ والظروف الطبيعية للمناطق الجغرافية وتوفر المياه وامكانيات السقي كل ذلك يتوضح مع طبيعة ومستوى الجهد البشري الذي يتوضح من خلال كثافة وكميات الصناعة الفخارية وقد اصدر في عام 1965 الذي وضح فيه اماكن السكن في المناطق المحيطة ببغداد وفي اطراف ديالى وكتابه الثاني اصدره 1972بحث فيه منطقة الوركاء واطرافها ,وكتابه الثالث اصدره في 1981 تضمن مسوحات المستوطنات القديمة او دراسة عن سكنى القسم الوسطي والجنوبي من العراق من البداية وحتى العصور المتاخرة واستكمالا لتلك المسوحات قام الباحث الاثاري مكواير جبسون بمسوحات اثرية في المنطقة التي تعرف سابقا ببلاد اكد والتي يمكن تحديدها بين المدينة الاثرية سبار شمالا ومدينة نفر جنوبا وكانت نتيجة ذلك المسح الكشف عن العديد من

الموقع الاثرية , وما قام الدكتور عبد الامير الحمداني من مسح في مناطق عدة , واخرون سجلوا باعمالهم مواقع عديدة وحددوا مواضعها وعصورها ودونوا بعض الملاحظات الوصفية لها .
جدير بالذكر ان المسوحات الاثرية استفادت من تقنيات التحسس النائي ولذلك فان معظم الابحاث عن العراق حالت تضمين الصور الجوية والاستشعار عن بعد مفيدة في التعرف على ضفاف الانهار القديمة المندرسة , علما بان الصور الجوية تم استخدامها في ستينات القرن الماضي ولكن بشكل محدود في المسوحات .

انواع المواقع الاثرية

تختلف الواقع الاثرية باختلاف طبيعتها والحضارات التي تعود اليها وازمنها ولكل موقع اثري مزاياه الخاصة به والتي تختلف من موقع الى اخر ومن بلد الى اخر ومن اهمها :

1- التلال الاثرية:

يعرف التل بانه المكان الذي تتواجد فيه شواهد تدل على اي نشاط قام به الانسان في فترة تاريخية او في فترات تاريخية سابقة ,وبتعبير اخر هو الموقع الذي سكنه الانسان في فترة من التاريخ سواء كانت منقطعة او متصلة وترك مخلفاته فيه وهذه المخلفات تمثل ما كان يقوم به الانسان من نشاط حياتي اثناء معيشته في الموقع وتتمثل في البقايا المعمارية كالقصور , المعابد ,البيوت , القبور , واللقى الاثرية متمثلة في الالات والادوات الحجرية , والفخاريات , والمنحوتات والرقم الطينية والصناعات المعدنية وغيرها , واذا سكن الانسان في احد المواقع اجيال متعددة لابد وانه سوف يبني بيوت متعددة بعد ان تتهدم البيوت القديمة تشيد بيوت جديدة فوق بقايا البيوت القديمة بعد تسويتها واعتمادها اسس للبيوت الجديدة وهذا يرفع من مستوى الموقع عن سطح الارض المحيطة به وبمرور الزمن سوف يكون الموقع قائم على اصطناعي يمثل بقايا البيوت التي سكنها قبل اجيال وهذا الموقع يطلق اسم التل الاثري الذي يحتوي بقايا من عدة طبقات بنائية سكنها الانسان في فترات وترك في هذه البقايا مخلفاته , اي ان التل يتكون من تراكم مخلفات الاستقرار الحضاري للانسان الذي عاش لفترة زمنية طويلة لان طبقات السكن هي عبارة عن ارتفاعات ترابية تراكمية تتخللها ابنية ومواد اثرية مختلفة .

تنتشر التلال الاثرية في كثير من انحاء الشرق الادنى ويتركز انتشارها في العراق وتضم هذه التلال في بطونها اثار تعود الى ازمان عديدة ومن الممكن ان تفسير ظاهرة الاستيطان المتعاقب في

مكان واحد بخصوبة تربة الموقع , ووجوده بالقرب من مورد ماء وسهولة اتصاله بالاماكن الاخرى اذا كان على طريق مواصلات يسكنه الناس للاستفادة منه وعندما يهجر سكانه لسبب من الاسباب تفد جماعة ثانية وتسكن نفس المكان على انقاض المباني الطينية للجماعات السابقة التي دمرتها الفيضانات والامطار او الحروب علما ان هناك العديد من العوامل التي تؤدي الى ترك المواقع القديمة والانتقال الى اماكن جديدة منها عوامل طبيعية متمثلة بتغير مجاري الانهار التي شيدت على ضفافها تلك القرى او المدن , جفاف العيون والابار والتي ينتج منها تدهور الاراضي الزراعية و انتقال الطرق التجارية التي كانت في يوما ما سبب في نشوء بعض المستوطنات وعوامل بشرية كالغزوات والحروب وغيرها ,وهكذا يتطور الموقع من ارض منبسطة الى تل من الانقاض المشغولة التي تجمعت بمرور الوقت .

وفي الحالات الطبيعية تكون الانقاض ممتدة فوق بعضها بشكل منتظم اعتبارا من التربة البكر او العذراء اي التي لا يوجد فيها او تحتها مخلفات انسانية حتى سطح الموقع , وبقاياها تمثل تعاقب العصور والحضارات في تسلسل سليم , علما باننا نلاحظ على سطح الموقع في مرحلة الكشف الاثري قطع فخارية صغيرة مبعثرة ووجود هذه القطع بكميات كبيرة يدل على ان هذا المكان هو موقع اثري سكنه الانسان القديم في عصر من العصور او في عدة عصور متتالية او متقطعة , والمواد الاثرية التي يعثر عليها في الطبقة الاولى تكون اقدم من المواد العائدة الى الطبقة التي فوقها

ولذلك فالتل الاثري يمثل تعاقب او تسلسل زمني منظم للتاريخ الثقافي والاقتصادي والصناعي للمنطقة التي يوجد فيها .

وتختلف التلال الاثرية في مساحاته وذلك استنادا الى ما يمثله التل فادا كان التل يمثل مدينة فانه يمتد الى منطقة واسعة , تختلف عما تمثله المواقع القروية , كما تبدو في بعض الاحيان كانها قرى غير ثابتة او مواقع مخيمات سكنها الانسان مدة قصيرة من الزمن , كما ان التلال الاثرية تختلف في ارتفاعها وهذا يعتمد على فترات السكن فبعض التلال يكون ارتفاعها قليل قياسا بتلال اخرى تكون اكثر ارتفاعا نتيجة تراكم ادوار متعاقبة من السكن فيه .

ومن الجدير بالذكر ان التلال بدات بالظهور لاول مرة مع ظهور اوائل القرى الزراعية , وازدادت بمرور الوقت مساحة وارتفاعا , وهذا يعني ان المواقع الاثرية كانت في الاصل قرى او مدن قديمة .

كيفية التمييز بين الطبقات الاثرية

الطبقة الاثرية :

تعرف الطبقة الاثرية بانها دور بنائي او دور سكني سواء كان البناء من حجر او لبن او اجر وسواء تضمن جدران , ارضيات , او كل ما يتبقى من

سكن الانسان , اذا كان من عصور قبل التاريخ او في العصور التاريخية , وقد يتضمن الموقع في بعض الاحيان مرحلة واحدة وفي حالات اخرى قد يوجد ما يسمى بالطبقة الثانوية وهذه تنشا من التغييرات او التجديدات في البناء , اي البناء غالبا ما يطرا عليه الكثير من الاصلاح ا والتغيير , ازالة جدران , اضافة جدران , غلق ابواب , فتح ابواب , اضافة غرف , عمل ارضيات وغيرها , ولكل مرحلة من هذه المراحل ميزاتها الخاصة التي يمكن مشاهدتها من خلال التغيير والاضافة على المخطط الاصلي , وهذا يتطلب من المنقب ان يكون قوي الملاحظة حتى يتمكن ان يعطي التصور الصحيح للمخططات المختلفة بدء من المخطط الاصلي وانتهاء الى اخر مرحلة سكنية كانت في الموقع , وفي بعض الاحيان يكون الموقع عائدا الى الفترة الزمنية او الى نفس الدور الحضاري , وفي مواقع اخرى تتضمن اكثر من طبقة اي عدة طبقات تعود الى ادوار حضارية مختلفة ولذلك على المنقب ان لا يمزج بين المخلفات او المواد الاثرية العائدة للطبقات التي يحتويها الموقع وعليه التفريق بينهما ,علما بان هذا العمل يستدعي قدر كبير من الدقة .

اما الدور الحضاري فالمقصود فيه الحقبة الزمنية التي قد تدوم قرن او اقل او قد تدوم عدة قرون , علما بان كل دور يتميز باثاره الخاصة وطرزه المعمارية واوانيه الفخارية , وقد يمثل الدور الحضاري في المدن العراقية القديمة بعدة ادوار بنائية فمثلا في اريدو تسعة عشر طبقة اثرية او دور سكني تنتظم في خمسة ادوار حضارية وفي الوركاء 18 طبقة اثرية تتوزع على اربعة ادوار حضارية هي العبيد , الوركاء , جمدة نصر , عصر فجر السلالات . .

وفي الحالات الطبيعية تكون هذه الطبقات موجودة في الموقع او ممتدة فوق بعضها بشكل منظم اعتبارا من الارض البكر او التربة العذراء حتى سطح

الموقع بشكل يعكس لنا التعاقب الطبقي الدقيق للموقع او التسلسل التاريخي للموقع ولكن قد يحدث في بعض الاحيان بعض التغييرات بسبب التخريب الذي يحصل في الموقع والناتج من عوامل طبيعية كالامطار والرياح والفيضانات والزلازل فاذا حدثت فقد تختلط بسببها المواد الاثرية من ادوار حضارية مختلفة , او قد السبب عوامل بشرية متمثلة بالقيام بحفر القبور , حفر الابار للاستفادة من مياهها او عند القيام ببعض المشاريع وقد تكون الحيوانات سببا عندما تحفر جحورها في باطن الارض , وفي تنقلها قد تنقل معها بعض القطع الاثرية الصغيرة من ادوار حضارية قديمة الى اخرى احدث عهدا وبالعكس .

ولذلك فان استخلاص تاريخ اي موقع اثري يعتمد على التفسير المنطقي الصحيح للطبقات الاثرية المشكلة له والتمييز بين الطبقات وما تشتمل عليه من عناصر معمارية وموجودات ولقى اثرية ثم ربط هذه العناصر والموجودات بطبقاتها بمنتهى الحرص , علما بان كثرة المخلفات او قلتها يعتمد على طبيعة المرحلة ذات العلاقة بالموقع الذي تجري فيه اعمال التنقيب علما ان طبقات الموقع تمثل حقلا لدراسة التتابع الطبقي .ولذلك ينبغي الاتي :

1- دراسة طبقات الموقع ووضع كل شيء في موضعه الصحيح من خلال ملاحظة الطبقات اثناء اعمال الحفر
2- تنظيف كل طبقة على حدة تنظيفا جيدا
3- ملاحظة تغيير لون التربة بسمك معين واختلاف تركيبها في هذا السمك .
4- حفظ المواد الاثرية منفردة لكل طبقة حتى لا تختلط مع مواد اخرى .
5- يجب ملاحظة اي حفر غير اصلية وجدت فيه .

2-الكهوف :

تكثر الكهوف والملاجىء الصخرية في المنطقة الجبلية حيث تظافرت العوامل الطبيعية على تكوينها واستغل الانسان وجودها الطبيعي فالتجا اليها الانسان لحماية نفسه من قسوة الطبيعة وخصوصا في العصور الحجرية , فالانقاض الموجودة في الكهف تكون نوعا من انواع المواقع الاثرية يختلف عن التلال حيث يجد فيه المنقب طبقات متعاقبة لانواع مختلفة من التربة ويعثر فيها على جميع المواد التي خلفها سكان الكهف في اوقات مختلفة , وعندما تظهر علامات التغيير بين نوعين من التربة يفضل ان تعتبر خطا فاصلا بين طبقتين .

3- النصب التذكارية :

العلامات التي اقامها الملوك او الحكام وقواد الجيش لتسجيل اعمال تستحق الذكر والتخليد كالانتصار في الحروب , حيث يدون فيها الاعمال الحربية والمتضمنة القضاء على الثورات والفتن الداخلية التي تحدث في زمنهم ومثال على ذلك حجر بهستون الواقعة على قمة جبل من الجبال الممتدة بين كرمنشاه وهمدان , فقد دون الملك الفارسي دارا في هذا المكان لتدوين اعماله الحربية التي انتهت بالقضاء على جميع المعارضين وعلى الثورات والفتن الداخلية التي حدثت في زمنه وقد دونت بالخط المسماري بثلاث لغات حلت بواسطتها رموز الخط المسماري , ومن الامثلة الاخرى مسلة اياناتم ملك لكش الذي خلد فيها انتصاره على مدينة اوما وهي عبارة عن حجرة حدود تفصل بين حدود مدينة انتصرت واخرى غلبت , والنماذج كثيرة .

4- شرفات الانهار :

هي مجاري الانهار التي بني الانسان مستوطناته قربيا منها وخير مثل على ذلك شرفات نهر النيل التي عثر فيها على اثار تعود الى العصور الحجرية , فقد كان الانسان يتبع مياه الانهار ويبقى قربيا منها تاركا وراءه مخلفاته في مستوطناته القديمة ولذلك فان اقدم الاثار تكون بعيدة عن المجرى الحديث للنهر وعلى منسوب اعلى من منسوب مجراه الحالي .

5-القلاع الحربية :

وتمثل المباني الضخمة التي تبنى على الحدود في اغلب الحالات وتتميز بالاسوار العالية والابراج المنيعة , ومن اشهرها الحضر فقد كانت مستوطنا لعرب البادية وقد عرفت الحضر بمناعة اسوارها ومتانة تحصيناتها , ومن الامثلة الاخرى البتراء التي تعد المدينة الرئيسية على طرق القوافل بين الشام والحجاز .

6- المدافن :

تشمل انواع مختلفة من القبور وتوجد داخل القرية او المدينة في بعض الاحيان واخرى خارجها , ويتميز البعض منها بكونها تمثل مباني ظاهرة على سطح الارض , وبعضها مستوية مع سطح الارض وهي باشكال متنوعة .

التنقيب :

اهداف التنقيب

1- انقاذ الاثار اي انقاذ الاثار المعرضة الى الهدم عند فتح الطرق والقنوات وتشييد الدور اي المواقع المعرضة الى الزحف العمراني , او المعرضة الى الغرق عند بناء مشاريع الري .
2- معرفة الادوار الحضارية في المواقع التي تتوفر فيها فرص وجود طبقات السكن المتعاقب وهذا يسهل توضيح تطور الحضارات في ازمان متعاقبة .

3-حل مشاكل معينة اي للحصول على معلومات جديدة تمثل بعض العصور التي يراد التاكد منها في بعض المناطق , او التاكد من اثار دور من الادوار.

4-توضيح بعض الامور الغامضة حيث تجري التنقيبات لتوضيح بعض القضايا التي وردت في المصادر المسمارية او الامور التي تستجد في التنقيب ويراد معرفة المزيد .

5 – تدريب طلاب الاثار وقد يكون الهدف من التنقيب هو لتدريب طلاب قسم الاثار ليكتسبوا الخبرة اللازمة في المستقبل ويتم التدريب باشراف رئيس هيئة التنقيب ويختار عادة موقعا اثريا يضم عصورا مختلفة في

ترتيب عمودي بحيث تمثل تسلسل الادوار الحضارية لكي يتسنى للطالب التعرف عليها وعلى مخلفاتها من عمارة ولقى اثرية , كما يفضل ان يكون مشابه لموقع سبق وان نقب حتى يكون رئيس الهيئة متفرغا لعملية التدريب .

اختيار الموقع :

هناك علاقة بين اختيار الموقع وبين الغرض من التنقيب , بحيث يكون الاختيار محدد بمعرفة الغرض وبعد ان يتم اختيار الموقع المناسب , ترصد المبالغ اللازمة للصرف على عملية التنقيب ويفضل ان يؤخذ بنظر الاعتبار استمرار التنقيب في اكثر من موسم واحد علما بان اعمال التنقيب قد تتعهد بها جامعة او متحف او مؤسسة , وفي اغلب الاحيان تتعهدها الحكومات للعناية بالتراث .

طرق التنقيب

تختلف طرق التنقيب باختلاف طبيعة الموقع والغرض من التنقيب وبشكل عام فان اهم الطرق المتبعة واكثرها شيوعا :

1- طريق الوحدات :

تعد هذه الطريقة اكثر الطرق شيوعا وبموجبها يقسم الموقع الذي يراد التنقيب فيه الى مربعات هندسية تميز عن بعضها بحبال تشد حول اوتاد تدق في زوايا المربعات وياخذ كل منها رقما , ويترك بين هذه المربعات من جميع الجهات فواصل بعرض معين كان يكون متر فائدته ان يحفظ للحفر مقطعا عموديا يوضح الطبقات المختلفة التي تم الكشف عنها اثناء عملية الحفر , حيث يبدا الحفر من سطح الارض وحتى التربة العذراء بشكل تدريجي وفي طبقات متجانسة ,حيث ان هذه الطريقة تساعد على ضبط الطبقات وملاحظة التغييرات التي قد تحصل علما بانها تصلح للاستخدام في المناطق السهلية التي تتوفر فيها الارض الرخوة , علما بان هذه الطريقة تعد من افضل الطرق لانها تساعد على الحصول على معلومات دقيقة وخصوصا اذا كانت المباني مختلفة ومن ادوارعديدة وتمتد الواحدة فوق الاخرى .

2- طريقة الخنادق :

ان الغرض من هذه الطريقة هو جس الموقع تمهيدا لاجراء التنقيب ويفضل الحفر في خندقين او اكثر وذلك للربط بين

منطقتين متباعدة عن بعضها من اجل الحصول على فكرة شاملة عن نتائج التنقيب

3- حفر الاختبار:

تستعمل هذه الطريقة في مرحلة التفتيش في اماكن مختلفة من الموقع والهدف الرئيسي منها هو جس التربة للتاكد من اهميتها الاثرية تمهيدا للبدء بعملية التنقيب علما بانها حفر الاختبار تعطي فكرة اولية عن نوع الاثار وعن الفترات الزمنية الموجودة في الموقع وتصبح فيما بعد جزء من خطة التنقيب الشاملة للموقع .

4- طريقة المدرجات :

تستعمل هذه الطريقة في المواقع الاثرية ذات التربة الصلبة في المناطق الجبلية وحيث يكون الانحدار شديد , بحيث تبدو منطقة التنقيب على شكل مدرجات متتالية من الاعلى الى الاسفل , وهي تفيد للحصول على نتائج كثيرة في مناطق صخرية يصعب الحفر فيها وهي بنفس الوقت تحكم ضبط الطبقات ومكان الاثار التي يتم العثور عليها .

هيئة التنقيب :

تتالف هيئة التنقيب من رئيس الهيئة ومساعد رئيس الهيئة واعضاء الهيئة من الاثارين وغير الاثارين

كالمساح والرسام ورئيس العمال وعدد من العمال وفي بعض الاحيان يمكن اختصار هذا العدد .

1- رئيس الهيئة او البعثة ويجب ان يكون من ذوي الاختصاص بالاثار, وان يكون على معرفة تامة بالادوار الحضارية وميزات كل دور من الادوار , وسبق له وان عمل في مجال التنقيب ,ويعتبر هو المسؤول الاول عن ادارة الهيئة والاشراف على كل امورها العلمية والعلمية والتنظيمية اشرافا مباشرا ومستمرا , ويعد المرجع الاساسي لاعضاء الهيئة وله الحق في اتخاذ القرارات النهائية لانه المسؤول الاول والاخير .عن كل ما يجري في الموقع .

2- مساعد رئيس الهيئة , ويعتبر المسؤول الثاني وينوب عن رئيس الهيئة في حالة غيابه , ويقوم بمهام الاشراف والمراقبة لسير العمل , ولذلك يجب ان يكون هو الاخر من المتخصصين في مجال الاثار .

3- المسجل هو الشخص الذي يقوم بتسجيل المادة الاثرية عند اكتشافها بمختلف انواعها بعد الانتهاء من ترميمها وتصويرها في سجل الحفريات .

4- الرسام يقوم الرسام برسم الالواح واللقى التي يعثر عليها اثناء التنقيب سواء كانت صغيرة ام كبيرة .

5- المصور يجب ان يتواجد المصور مع البعثة في منطقة التنقيب من بداية الحفر الى نهايته لان مهمته من المهام الرئيسية بالنسبة للهيئة حيث يقوم بتصوير الموقع قبل بدء اعمال التنقيب واثناء التنقيب , اي انه يقوم بتصوير كل خطوة من خطوات الحفر اول باول .

6- المساح هو من يقوم برسم الخارطة الكنتورية او خارطة كسور الارض ورسوم الابنية الاثرية التي تستظهر من نتيجة اعمال التنقيب ورسوم المقاطع حسب مقياس معين .

7- رئيس العمال يجب ان يتم اختياره من بين اكثر العمال خبرة في مجال العمل الاثري وارجحهم عقلا في مجال العلاقات القائمة بينهم لانها تحتاج الى الحكمة والصبر , واجبه الرئيس ادارة ال بثبات وحزم ويقوم بارشادهم اثناء الحفر.

8- العمال الفنيون يمثل العال الفني عصب العمل الحقلي لانهم هم من يقوم بعملية الحفر باستعمال المعاول ويمطيون اللثام عما تخفيه الارض من عمارة وفنون بحكم خبرتهم الطويلة في مجال

الحفر والتنقيب الاثري , اذ تقع على عاتقه كشف الاثار واخراجها بدون تلف او تدمير وهناك الكثير منهم احترفوا مهنة الحفر بالتدريب من ابائهم منذ زمن طويل اثناء اشتغالهم مع البعثات الاجنبية .

9- العمال العاديون لا يشترط فيهم ان يكونوا من اصحاب الخبرة والتجربة لان عملهم يقتصر على نقل الترتب بواسطة عربات الى المكان الذي يتم اختياره لهذه الاتربة وعددهم يزيد على العمال الفنيين بحيث يحدد لكل عامل فني عدد من العمال الذين يعملون معه .

عدة التنقيب :

تنقسم الى قسمين الاول يتعلق بكل ما يحتاجه اعضاء هيئة التنقيب من قرطاسية وكل ما يلزم من ادوات المسح والرسم والتصوير, والثاني يتعلق بمعدات الحفر , والمسؤول الاول عن تامين عدة الحفر للهيئة وكل ما يحتاجه اعضاء الهيئة من ادوات ومعدات رئيسها وتشمل :

1 - الاوتاد لتحديد المربعات والحبال لتنظيمها والعلامات الخشبية او المعدنية التي ترقم بواسطتها المربعات او الغرف استنادا الى اعمال التنقيب

2-المعاول مثل الرفش او الجاروف وهي من اهم الات الحفر حيث تستخدم في استظهار الجدران وتحديدها ونقل التراب الى المكان المحدد .

3- الفاس الجيولوجي او القزمة وتستعمل في المواقع ذات التربة الصلبة ويرعى الحذر عند استعمالها حتى لا تحدث اضرار في الجدران.
4- العربات التي تستخدم في نقل الاترية خارج منطقة الحفر .
5- الفرشاة تعد من الادوات الضرورية في عملية الحفر وتكمن اهميتها في العمل في الارضيات والجدران حيث تسهل تنظيفها من التراب .
6- الشريط الهندسي ويستخدم لضبط الابعاد والمسافات علما بان انواع متعددة وقياسات مختلفة .
7- البوصلة وهو جهاز يستعمل لتحديد الاتجاهات عند رسم الخرائط .
8- الشاخص الهندسي هو عمود مقسم الى وحدات هندسية " امتار وسنتيمترات " ويلون بلون ابيض واسود او احمر وابيض وذلك لتقدير حجم او طول او عرض المباني الاثرية.
9- الغربال من الادوات الضرورية لفحص المواد الاثرية الصغيرة .

10- العدسة المكبرة لقراءة الالواح المسمارية وفحص الاختام الاسطوانية والنقوش الدقيقة .
11- بعض المواد الكيمياوية اللازمة للمعالجة مثل الجبس والصمغ وغيرها .
12- بعض المواد الطبية اللازمة للاسعافات الاولية .

اكتشاف الاثار :

هناك عوامل كثيرة تساعد على ظهور الاثار ومن ابرزها

1-التعرية النهرية كان لها اثر كبير في كشف الاثار للعيان , فالانهار كانت تجتذب الانسان نحو شواطئها فبنى بالقرب منها مستوطناته وترك في تلك المستوطنات كل ما له علاقة مباشرة او غير مباشرة بحياته الاقتصادية والدينية والفنية والاجتماعية وعلى مر الزمن اخذت مياه الانهار تزيل انقاض تلك المستوطنات وتكشف عن اثارها , كما ان الرياح تقوم بنقل الرمال المتراكمة على مواطن الاثار منذ عصور قديمة وان الكثير من المواقع كشفتها الرياح ما سهل على المنقبين مهمة الكشف عن الاثار .

2- ان نشاط الانسان لا يقل تاثير عن نشاط الطبيعة في مجال الكشف عن الاثار , فان الكثير من الاعمال العمرانية تؤدي الى كشف مستوطنات قديمة مثل فتح الطرق ومد سكك الحديد , كما ان الزحف العمراني متمثلا ببناء البيوت كشف عن العديد من الاثار , بالاضافة الى ان قيام الانسان بحفر الابار والقبور كان له دور كبير في ذلك .

3-ان الحروب تمثل الجانب الهدام من نشاط الانسان وهي بهذا الهدم والتخريب تساهم في كشف الاثار اثناء حفر الخنادق وبناء وسائل الدفاع , فقد وجدت الكثير من الاثار في خنادق حفرت لاغراض عسكرية

1- اميل بوتا 1842 –القنصل الفرنسي في الموصل حيث قام بتنقيباته في العاصمة الاشورية نينوى ثم في خرسباد 1843 وشحن اول غنائمه الى اوربا
2- هنري ليرد حيث نقب في نمرود1845 وشحن ما عثر عليه الى لندن " التنافس"
3- لوفتس 1821-1858 نقب في اريدو . نفر في 1852 وفي الوركاء 1854
4- هنري رولنصن 1810- 1895 بدا عام 1857بدراسة الكتابة المسمارية .
5- وفي عام 1877 دخلت الولايات المتحدة الامريكية الى ميدان التحريات الاثرية فارسلت جامعة بنسلفانيا اول بعثة امريكية للتنقيب في نفر برئاسة بيترز ومساعده هلبرشت
6- وفي عام 1877- ,,
7- عام 1899 بدا روبرت كولدفاي بالتنقيب في مدينة بابل بعد تاسيس الجمعية الالمانية الشرقية , وكان اول عمل هو ارسال بعثة للتنقيب في بابل , وقد خرجت من العراق اثر تنقيبهم مئات من

الصناديق المملؤة بما كان يزين بوابة عشتار وشارع الموكب من طابوق مزجج مع قطع فنية ورقم طينية

8- عام 1899 – 1906 بدا الفرنسيون التنقيب في مدينة سوسة للكشف عن الحضارة العيلامية جنوب غرب ايران

9- مصر بدا التنقيب فيها بعد اكتشاف حجر رشيد على ايدي بعثة نابليون بونابرت 1798-1801 التي كانت تضم عددا من المختصين في مختلف الدراسات جابت البلاد طولا وعرضا باحثة مستقصية ومسجلة لكل المواقع والنصب الاثرية في مصر من في الكتاب المسمى وصف مصر العصر الفرعوني حتى العصر الاسلامي ونشرت ابحاثها وعثرت على حجر رشيد حيث استطاع شامبليون في عام 1821 من قراءة النص المكتوب بثلاثة لغات هي اليونانية والديموطيقية والهيروغليفية وبعدها بدات الدراسات المصرية وفي عام 1773 تاسست صندوق التحريات المصرية .

10- بلاد اليونان وبحر ايجة فقد بدا الاهتمام بهما منذ اوائل القرن التاسع عشر على يد هاينزس شليمان 1822- 1890 حيث بدا بدراسة تاريخ هوميروس

ووصفه لمدينة طروادة واعتقد شليمان بصحة ما ذكره هوميروس وجمع الاموال وذهب الى سواحل جنوب غرب تركيا وبدا بالتنقيب بالمدن التي هوميروس وخاصة طروادة " حصارلك " .

11- تنقيبات ارثر ايفانز في موقع كنوسوس في جزر بحر ايجة 1851 ومن هنا بدات دراسة الاثار اليونانية والرمانية في هذه المنطقة .

12- اما الهند وباكستان فقد السير جان مارشال تنقيباته عام 1921 في موهنجدارو واكتشفت حضارة وادي السند " حضارة هارابا ".

13-

14- وفي عام 1877 ظهر منافس اخر لمتاحف اوربا هو حمدي بك نجل احد رؤساء الوزارات في تركيا الذي عين اول مدير للممتحف الامبراطوري في اسطنبول فقد استخدم نفوذه الشخصي لاصدار اول نظام للاثار.

15-

16-

17-

18-

19-

20- وكان اهم انجاز ما به القنصل البريطاني في بغداد هنري رولنصن هو حل رموز الخط المسماري بعد ان تم العثور على حجر بهستون وقد ادى ذلك الى لفت الانتباه الى بصورة اكبر الى اثار الشرق الادنى والى الثروة الحضارية لتلك المنطقة ولذلك فقد تلاحقت البعثات الاثرية من الدول الاوربية المختلفة الى القيام بالحفريات في بابل واشور وفي مناطق مختلفة من العراق , علما ان النشاط الاثري في البداية كان عبارة عن جهود فردية يقوم بها اشخاص , والى جانب هذا النشاط قام الدبلوماسين الغربيين المعينين لدى البلدان الشرقية بعمل بحوث ميدانية وحصلوا من جرائها على مواد اثرية قاموا بارسالها الى بلدانهم كما قام بعض العسك